الأسبوع الثالث : حقوق الانسان في العصر الحديث :

المطلب الثاني
حقوق الانسان في العصر الحديث

لقد اعتبر المؤرخون فترات العصر الحديث فترة إنتقالية في تاريخ حقوق الانسان لأنها أحدثت نقلة نوعية في تحسين حالة حقوق الإنسان عما كانت عليه سابقاً في العصور القديمة ، ويتمثل ذلك في المجهودات التي تبذل كرد فعل للاسراف في عدم المساواة من خلال تحرير عدد كبير من الارقاء في العالم ، كذلك حركة المدن الواسعة كانت هي الأخرى حركة احتجاج ضد بعض صيغ عدم المساواة والمطالبة بالحرية حتى صدور وثائق خاصة معنية بحقوق الانسان ، ويتضح ذلك جلياً في ثلاث دول كبيرة هي إنكلترا وامريكا وفرنسا

الفرع الأول
تطور حقوق الانسان في إنكلترا

تطور الحال في إنكلترا تدريجياً بعدما غزت قبائل السكسون والانجلز (القبائل الجرمانية) إنكلترا وازالوا حكم الرومان الذي امتد خمسة قرون تقريباً ، وقد أصدرت القبائل الانكلوسكسونية قوانين موجزة لتنظيم بعض العلاقات الاجتماعية ، وفي عام ١٠٦٦ غزا وليم إنكلترا وقضى على اخر ملوك الانكلوسكسون ، واقام وليم حكماً مركزياً ونصب نفسه حاكماً على إنكلترا ولقب نفسه ب (وليم الفاتح) ، وشكل الملك وليم مجلساً يضم كبار رجال الدولة ويتولى مهام القضاء على الأفعال التي تمس أمن اللاد وسلامتها ، وقد انبثق من مجلس الملك هيئات عديدة للفصل في المنازعات واصدروا احكاماً يخضع لها جميع افراد الشعب الإنكليزي لتحل محل القوانين العرفية التي كانت سائدة في العهد الانكلوسكسوني ، وباتوا يطالبون بحقوق الشعب وتحسين أوضاع الافراد وصيانة حقوقهم وإقرارها

وقد صدرت في إنكلترا وثائق عديدة تتضمن حقوق الانسان أهمها

أولاً : العهد الأعظم : الذي صدر عام ١٢١٥مقرراً حق الملكية وحق التقاضي

ثانياً : ملتمس الحقوق (عريضة الحقوق) : حيث صدر عام ١٦٢٨ وجاء فيه (لا يسجن أي شخص الا بتهمة حقيقية محددة ، وعدم اعلان الاحكام العرفية وقت السلم) .

ثالثاً : قانون تحرير الجسد : صدرعام ١٦٧٩ والذي حرم الاعتقال دون مسوغ قانوني ، واوجب الإسراع في بيان سبب الاعتقال .

رابعاً : لائحة الحقوق : صدرت عام ١٦٨٨ وهي تحظر على الملك إنشاء محاكم استثنائية وتنص على المحاكمة بطرق المحلفين ، وعدم فرض الغرامات والعقوبات المالية القاسية .

خامساً : قانون التولية : فرض هذا القانون عام ١٧٠١ على الاسرة الحاكمة في هانوفر شروط لاستلامها العرش ، والزمت الملك بالاعتراف بحقوق عامة الشعب وبالديموقراطية الشعبية وسيادة القانون .

الفرع الثاني
تطور حقوق الانسان في الولايات المتحدة الامريكية

في عام ١٦٠٧ أخذت إنكلترا إنشاء مستعمرات بلغ عددها عام ١٧٣٣ ثلاث عشرة مستعمرة ، وكانت كل مستعمرة تنشأ بميثاق يحدد حقوق سكانها وواجباتهم ، وكلما أخذت المستعمرات في

الازدهار اوغلت إنكلترا من فرض الضرائب الباهضة ، فضلا عن بيع محصولاتها الزراعية للمؤسسات التجارية الإنكليزية ، وبلغ الضيق ببعض المستعمرات حتى ثارت على السلطات الإنكليزية ، وكان اشدها ثورة مدينة بوسطن عام ١٧٧٠ وقوبلت بقمع الإنكليز من خلال ما يعرف بمذبحة بوسطن ، حتى دعا المستعمرات الثلاث عشرة عام ١٧٧٤ الى عقد مؤتمر في مدينة (فلادليفا) حضره مندوبون عن كل مستعمرة ، ثم تتابع انعقاده في العاميين التاليين ، وبتاريخ الرابع من تموز عام ١٧٧٦ أعلن المؤتمر استقلال المستعمرات عن إنكلترا بوثيقة وقعها مندوبون عن المستعمرات وهي ما تعرف بوثيقة إعلان الاستقلال .
وحرصت المستعمرات المستقلة في أمريكا الشمالية على تضمين إعلانات الاستقلال عدداً من حقوق الانسان أهمها (ان جميع الناس متساوون ومستقلون ولهم حقوق اصلية لا يجوز التنازل عنها ، ومن بينها الحق في الحياة والحرية والملكية والسعي الى السعادة)
وجاء ايضاً (اننا نؤمن بأن هذه الحقائق واضحة بذاتها ، وهي ان الناس خلقوا سواسية ، وان خالقهم قد حباهم بحقوق معينة وهي جزء من طباعهم لا تتجزأ ، منها الحياة والحرية والسعادة)
كما اعتبر هذا الإعلان الخطوة الأولى نحو حقوق الانسان في أمريكا واعتبر نقلة نوعية لحالة الانسان في المستعمرات الثلاث عشر المتوحدة .

الفرع الثالث
تطور حقوق الانسان في فرنسا

لقد كانت الأوضاع في اوربا بشكل عام اوضاعاً متردية لأن الاقطاع كان مسيطراً على القارة بأكملها ومتحكماً بجميع شؤونها ، والمجتمعات كانت مقسمة على طبقات وكل طبقة تختلف في الحقوق عن الأخرى ، وكذلك الحال في فرنسا بأعتبارها جزء من القارة الاوربية ، فقد كان الشعب الفرنسي مقسماً على ثلاث طبقات :
الطبقة الأولى هي طبقة الاشراف التي كانت ذا قوة ونفوذ ولها كافة الامتيازات المادية والمعنوية ، اما الطبقة الثانية فهي طبقة رجال الدين التي كانت تشاطر طبقة الاشراف من حيث الامتيازات وكان رجالها يأكلون ولا يعملون ، يسألون ولا يُسألون ، يحكمون ولا يُحكمون ، اما الطبقة الثالثة فهي الشعب البائس المحروم الذي يعمل ولا يأكل ، يزرع ولا يحصد ، ويُستغل على ابشع وجه ، على الرغم من ان هذه الطبقة تحوي المفكرين والادباء والشعراء والمخترعين والعظماء الذين قادوا الإنسانية من العهود البدائية الى عصور الحضارة والرقي .
وهكذا استمرت رحى البؤس تدور على طبقة الفلاحين وعامة الناس فتطحنهم طحناً ، بحيث كان الاشراف يملكون نصف الأراضي الفرنسية اما النصف الاخر فهو ملك لعشرات الملايين من الشعب ، وكان الفلاحون يعملون في أراضي النبلاء وهم جياع ، بينما كان النبلاء لا يعملون شيئاً ويأكلون جهد الفلاح ، وهذا الظلم والغبن دفع كبار الفلاحين الى العمل على ايقاظ الطبقة والعمل على تخليصها من هذا الظلم ، حتى قامت عدة ثورات في فرنسا عامي ١٦٣٥ الى ١٦٣٦ لكنها اخمدت بوحشية لا يعرف تاريخ الإنسانية لها مثيل ، وظل هذا المجهود ينبعث من افراد هذه الطبقة المظلومة لمحاربة الاستبداد العقلي والاستبداد السياسي وعدم المساواة الاجتماعية .. الخ
وقد تناول الكتاب والشعراء هذه الحقبة بصدق وامانة وهم يطلبون للناس الحرية بكل أنواعها ، حتى فاض الادب الفرنسي بالحملات الكاسحة للتفاوت المخيف بين الأغنياء والفقراء وشنوا حملة على الضرائب المفروضة على الفلاحين ودافعوا عن وحدة الاجناس البشرية دفاعاً شرس ، وظل ادباء هذا العصر في حركة دائمة واصبح المفكرون في جيشين متعاضمين الا ان أعظم صورتين من هؤلاء كانوا الشاعرين العظمين (روسو وفولتير) وراح الادباء والمفكرون يعملون على ايقاظ النخوة ونشر مبادئ الحرية وإبراز صور الفساد وتمهيد الطريق إلى الخلاص ، مما دفع

ممثلوا الطبقة الشعبية لتوحيد الكلمة بين الطبقات الثلاث من خلال اجتماعات الجمعية العمومية من اجل الوصول إلى محو الفوارق بين مختلف طبقات الامة لكنهم لم ينجحوا لكثرة المداولات التي لجأت إليها طبقتا الاشراف ورجال الدين ، حتى أصبح انعقاد الجمعية العمومية يومياً لمدة خمسة أسابيع متتالية ابدى فيها ممثلوا الشعب نواياهم الحسنة من اجل تفاهم سريع مع ممثلي الطبقتين التي ابدى ممثلوها بدورهم عناداً وتمسكاً بالامتيازات الخاصة بهم مما أقام حاجزاً لا يقبل التفاهم ، هذا ما دفع ممثلي الشعب في السابع عشر من حزيران سنة ١٧٨٩ بعقد اجتماعاً خاصاً بهم فحواه سحب الاعتراف بوجود طبقتي الاشراف ورجال الدين ، وتكوين جمعية تكون خاصة بممثلي الشعب سميت (الجمعية الوطنية) ..

وبعد ان بدأت الجمعية العامة اعمالها أصدرت جملة من القرارات التي من شأنها ان ترفع صوت الشعب عالياً ، ووضع أعضاء الجمعية الوطنية صيغة القسم التاريخي واقسموا جميعاً امام الشعب معلنين ولائهم للشعب فقط ، وهذا ما اثار حفيظة الملك التي دفعته الى إلقاء خطبة أثارت استهزاء الجميع وذلك بعد دعوته لالغاء جميع القرارات التي اتخذتها الجمعية الوطنية ، الا ان الجمعية الوطنية واصلت اعمالها وتمسكت بقراراتها السابقة وأعلنت حصانة أعضائها ضد أي اعتداء .

وفي اليوم التالي اوعز الملك مرغماً الى الاشراف ورجال المدينة بالانضمام الى الجمعية الوطنية ، مما دفع رجال البلاط الى ان يقودوا مؤامرة لاقناع الملك بالعدول عن الخطة التي اتبعها تحت ضغط الشعب ، وسرعان ما اقتنع الملك بوجهة نظرهم ، اذ اخبروه بأن سلطته على وشك الانهيار بسبب هذه المسألة فما هي الا ساعات حتى كان خمسون ألف جندياً من قواته يطوقون باريس كما استنجد الملك بملوك اوربا ليوفدوا إليه جيوشاً تعينه لقمع الجمعية الوطنية ، وهذا ما حصل حيث وصلت بعض كتائب الجيوش الأجنبية الى باريس ، الا أن الشعب بدأ يتجمع وينتفض ضد هذه الجيوش ويرشقونها بالحجارة حتى ازدادت شرارة الغضب شيئا فشيئا مما دفع أعضاء الجمعية الوطنية إلى أن يعقدوا اجتماعاً بأسرع وقت ممكن ليناقشوا فيه جميع قراراتها التي تخص هذه الحرب ، ولم يكتفي الشعب بهذا بل خرجت مجاميع الشعب المنتفضة (التي وصلت اعدادها مئات الألوف) طالبين السلاح من بلدية العاصمة إلا ان البلدية منعتهم من الحصول عليه ، حتى ضاقوا ذرعاً فهجموا على مخازن الأسلحة وأخرجوا عشرات الألوف من البنادق وأنواع من السلاح الأبيض هاجمين به على الجيوش الأجنبية والأماكن التي كانوا يضطهدون بها وأهمها (سجن الباستيل) فاتجهت جموع الغاضبين الثائرين باتجاه السجن وعلى أفواههم صيحة واحدة تدوي ولا تنقطع هي (إلى الباستيل) فما كانت الساعة الثانية عشر ظهراً حتى تجمع الشعب باجمعه أمام حصن الباستيل واشتبكوا مع المدافعين عن الحصن اشتباكاً رهيباً لم ينتهي حتى أصبح الحصن المنيع تحت اقدام الثائرين وما ان وصلت أنباء سقوط السجن الى القرى والاقاليم حتى هب أهلها هبة واحدة فأعلنوا العصيان كما اعلنوا عدم التزامهم بدفع الضرائب ، كما هجموا على قصور النبلاء فدمروها واحرقوها كونها تمثل سجن الباستيل ، واستمرت ثورة الأقاليم والارياف واتسع نطاقها وازدادت عنفاً بحيث خشى رجال الجمعية الوطنية ان تستمر هذه المجاز فتؤدي الى حرب أهلية لا تقف عند حد فأرتأوا تهدئة الخواطر بإعلان انتهاء العهد القديم ، كما صدر من جانب النبلاء بعض الاقتراحات حول التنازل عن امتيازاتهم دفعاً للضرر ، وهذا ما حصل فعلاً ، وما كان الليل ينتصف حتى كانت قرارات التنازل عن امتيازاتهم قد تراكمت امام أعضاء الجمعية الوطنية ، حتى اندمج الاشراف في جمهور الشعب ، وهكذا قضي على رذائل العهد القديم وحرر أبناء الشعب الفرنسي من اغلال العبودية وقيود التسلط ومن الضرائب المرهقة القاتلة .

وقد شكلت الثورة الفرنسية انتصاراً للإنسانية أكملها لان أي قضية تتعلق بسلامة وكرامة الكائن البشري تعتبر مكسباً للبشرية جمعاء دون النظر الى الموقع الجغرافي او او المعتقد او اللون او الجنس .

وكان الابتهاج اكثر حينما أعلنت الجمعية الوطنية عن وضع وثيقة حقوق الانسان لتكون بمثابة اصل لبناء الدستور الفرنسي وسميت هذه الوثيقة (بالإعلان الفرنسي لحقوق الانسان) ولهذه الوثيقة الفضل في تغيير معالم التاريخ وانتهاء عروش الاستبداد وتحرير العقول وأصبحت في نظر الشعوب مناراً يهتدي به